

البندنجي، ومعجمه « النقيفة في اللغة »

الدكتور خليل ابراهيم القطية
كلية الآداب - جامعة البصرة .
المراف

مقدمة

يعد معجم « النقيفة في اللغة » لأبي بشر
ابندنجي من معجمات القرن الثالث الهجري ،
اعتمد فيه مؤلفه نظام القافية ، ويكون بذلك أول من
اعتدى الى هذا النظام البسيط ، ومع انه لم يعتمد في
ترتيبه على ما سمي بعدئذ بنظام الباب والفصل
بشكله النهائي كما فعل الجوهري فانه كاف لتأكيد
زيادته في ذلك النظام .

ومن هنا بان أثر هذا المعجم من حيث أهميته
التاريخية الى جانب قيمته اللغوية لانه اثر من آثار
القرن الثالث الهجري .

فمن يكون البندنجي صاحب هذا المعجم ؟ وما
منهج الرجل فيه ؟ وما مصادره ؟

هذا ما نحاول الاجابة عنه في بحثنا الذي
سنتناوله على قسمين : الاول نعرف بالرجل وبآثاره
وشيوخه واثروهم فيه ، ونفرد بحثا خاصا بالمعجم
ومنهجه .

والثاني : نجلو فيه مصادر المعجم ، وأهميته
التاريخية واللغوية وماأخذنا عليه .

ولا يسعنا ونحن نكتب هذه المقدمة الا الاشارة
بفضل الشيخ حمد الجاسر الذي اكتشف هذا الأثر
النفيس ونوه به في مجلته « العرب » ، ثم أعارته لنا
نسخته الفريدة المصورة ، والسماح لنا بتحقيقه .

البندنجي :

ولد البندنجي سنة مائتين للهجرة في البندنجين ،
أكمه لا يرى الدنيا وكانت نشأته بها . وقد لازم أباه
الحسن علي بن المفيرة المعروف بالأثرم صاحب أبي
عبدة والاصمعي وحفظ عليه أدباً كثيراً وأشعاراً جبة ،
تعضده ذاكرة حسنة في الحفظ ، وقد اشار الى ذلك
نقال : « حفظت في مجلس واحد مائة وخمسين بيتاً
بفريه » (11) .

ولا نطمع من مظان ترجمته أن نوميء السلي
الحديث عن مراحل نشأته ، وحسبنا الاكتفاء بأن أباه
كان ميسوراً خلف له بساتين ومزارع ، باعها وأنفقها
في طلب العلم متجهاً صوب بغداد والبصرة وسر من
رأى فالتقى بعلمائها من بصريين وكوفيين أو من
خلط بين المذهبين .

شغل البندنجي في أول نشأته بطلب العلم ثم
نصره ذلك عن الاتصال بأعلام العصر ، ولمّا
كان أعمى وليس في الأعمى كبير غناء للخلفاء يوم
كانوا « خلفاء » حقاً ، أما وأتهم صاروا الموبة بيد
الأتراك وغيرهم فانا لا نطمع منه بعد استواء عوده
أن يكون على علاقة بأحد منهم .

وإذا لم يكن البندنجي على صلة بخلفاء
عصره (12) ، فانا نجد له مقطعة في مدح أبي أحمد
عبد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي المتوفى سنة
300 هـ . ومنها ترجع صلته به .

أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنجي (1) ،
أصله من المعجم الدهاتين . منسوب الى البندنجين -
على لفظ التنثية ، بلد مشهور في طرف النهروان من
ناحية الجبل من أعمال بغداد (2) في أرض السواد (3)
تعرف الآن باسم « مندلي » وهي مركز قضاء باسمها
في محافظة ديالى على مبعده 93 كلم من شرقي
بغوبة قرب الحدود العراقية الإيرانية (4) .

وقد نسب اليها خلق كثير من العلماء فيهم
الحافظ والقاضي والاديب واللغوي غير صاحبنا ، لا
يذكرون من غير تقييد غيره - فيما وجدت - كما
فعل أبو أحمد العسكري (5) وابن المعز (6) وابن
الشجري (7) وأبو عبيد البركي (8) .

وقد تيّد حاجي خليفة (9) البندنجي بالبغدادي
وجاراه اسماعيل البغدادي وأما أطلق ذلك عليه
إطالته البكت ببغداد فنسب اليها . ويعضد هذا ترجمة
محب الدين أبي عبد الله المعروف بابن النجار (10)
المتوفى سنة 643 هـ له في « ذيل بغداد » ومع ضياع
معظم أجزاء المصنف المذكور فقد نقل الخوانساري
في « روضاته » ترجمة البندنجي منه .

نشأته وحياته :

- (1) انظر في مصادر ترجمته : الفهرست (فلوغل 82/1 ومعجم الادباء 56/20 وإنباه الرواة 73/4 ،
وتلخيص ابن مكنوم 282 وتجريد الواقي بالوفيات 264 أ وطبقات ابن شهبة 310/2 ونكت الهميان
312 وبغية الوعاة 352/2 وروضات الجنات 745 ومقدمة « معجم التنقية في اللغة » بتحقيقنا
مطبوعات وزارة الاوقاف العراقية بغداد 1976
- (2) معجم البلدان 292/2 .
- (3) معجم ما استعجم 281/1 .
- (4) انظر عن مندلي : مجلة سومر 8 (1952) ص 277 ولغة العرب 7 (1929) ص : 620
والعراق قديماً وحديثاً (ط 3) 9 . 2 .
- (5) البصون 133 .
- (6) البديع 34 .
- (7) الحياصة 267 .
- (8) معجم ما استعجم 281/1 .
- (9) كشف الظنون 283/2 و 313 و 506 وهديّة العارفين 548/2 .
- (10) ترجمته في عداد الضائع كما يبدو تنظر مخطوطة الكتاب نسخة باريس 2/31
- (11) معجم الادباء 56/20 وطبقات ابن شهبة 311/2 ونكت الهميان 313 .
- (12) عاصر البندنجي عشرة من خلفاء بني العباس نخرج منهم المأمون لانه ولد في مقتبل حكمه والمعتصم
لانه لم يزل في مهده صغيراً .

1 - التنقية في اللغة - وسنخسه بدراسة مستقلة .

2 - معاني الشعر .

3 - العروض .

وأهم ما يلاحظ أنه لم يذكر كتابيه : معاني الشعر ، والعروض في مصنفه « التنقية في اللغة » داب غيره من المصنفين فلملها كانا من أوائل تصانيفه ، أو لعله لم يجد مسوغاً لذكرهما في معجمه المذكور .

والبنديجي شاعر - ما في ذلك شك - فقد أشار إلى هذه الحقيقة جهره من ترجموا له كابن النديم وياقوت الحموي وابن مكرم والسيوطي والخوانساري .

ونستطيع ونحن نقرأ شعره - الذي وصل إلينا منه قدر ضئيل (19) - أن نحكم بجودته فنيه ديباجة حسنة ، لعلها جاءت من ممارسة طويلة في عرض الشعر وتعاطيه .

شيوخه :

تذكر كتب الطبقات ستة من شيوخ البنديجي القتي بهم وأخذ العلم عنهم ، فبهم من تلمذ له في مسقط رأسه البنديجين ، وبهم من تلمذ له في البصرة ، وثمة شيوخ آخرون تلمذ لهم في بغداد وسامراء ، ولا يبعد أن يكون تلمذ لغيرهم من العلماء فإن كتب الطبقات لا تلتزم بالاحاطة .

وفما يلي تعريف موجز بهؤلاء العلماء :

وكان ابن طاهر ادبياً شاعراً « له محل من الادب والتصرف في فنونه ورواية شعره وقوليه ، والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل - من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة » (13) وولي الشرطة ببغداد خلافة عن أخيه محمد بن عبد الله (14) .

وكان مجلسه حافلاً بعلماء العصر وجلة القوم وبين أيدينا ما يشير إلى اجتماع أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي وابن الاعرابي في أحد مجالسه (15) .

إذا عرفنا هذا فليس من الغرابة أن يجتذب مجلس ابن طاهر أبا بشر البنديجي ، وأن يكون معجبا به ، وأن يكثر من مدحه وفيها خلصنا إليه مصداق لقول القنطي في أبي بشر « كان شاعراً يرتزق بالشعر » (16) فلمله وجد من تشجيع ابن طاهر وعونه وسخائه وما أنصف به من بصر بالشعر - وروايته ونظمه (17) ما أنفعه إلى المزيد من مدحه .

أما وفاة البنديجي فقد أجمعت المظان التي ترجمت له أنها كانت ببغداد سنة 284 هـ .

آثاره وشعره :

تذكر المصادر التي ترجمت للبنديجي (18) ثلاثة من الآثار لا تزيد عليها بعضها ذكرها جميعاً ، وأخرى أشارت إلى اثنين منها والقليل اكتفى بقولسه : « وصنف كتباً » أو « صنف عدة تصانيف » إشاراً للإيجاز .

أما تلك الآثار فهي :

(13) الاغانى 40/9 .

(14) وفيات الأعيان 304/2 والبدایة والنهاية 119/11 .

(15) معجم الأدباء 193/2 .

(16) انباء الرواة 73/4 .

(17) انظر اشعاراً لابن طاهر في الاغانى 40/9 - 48 والديارات 76 و 78 ، 82 ووفيات الأعيان

304/2 وشرح المتألمات. 324/1 .

(18) انظر هامش (1) .

(19) انظر : البديع 34 والمصون 133 وبغية الوعاة 352/2 وحامسة ابن الشجري 267 وطبقات ابن

شعبة 311/2 ومعجم البلدان 16/2 ومعجم الأدباء 311/2 ونكت الهميان 312 ومقدمة « معجم

التنقية » بتحقيقنا بغداد 1976 .

1 — أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي المتوفى سنة 231 هـ ، وهو أحد أعلام الكوفيين ورواتهم المعروفين ، أخذ عن الفضل الضبي (20) — وكان زوجاً لأمه — والكسائي (21) كما سمع من الاعراب الذين نزلوا ظاهر الكوفة وهم بنو أسد وبنو عقيل كما أخذ عن أبي زياد الكلابي وجماعة من الاعراب مثل : الفضيل وأبي المكارم وعجزة (22) . وكان موصوفاً بالورع والصدق .

2 — أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي المتوفى سنة 231 هـ .

أحد علماء البصرة ، أخذ العلم عن الأصمعي وأبي زيد كما روى عن أبي عمرو الشيباني (23) . وأكثر صلته كانت بالأصمعي ، وهو رأي كتبه في اللغة ومساوها وكان فيه يقول : « لا بصدق عليّ إلا أبو نصر » (24) .

3 — الأثرم : أبو الحسن علي بن المغيرة المتوفى سنة 232 هـ (على خلاف) . أحد علماء بغداد ورواتها روى عن فصحاء الاعراب (25) وعن أبي عبيدة والأصمعي وروى كتبهما حتى عرف به « صاحب الأصمعي وأبي عبيدة » .

4 — ابن السكيت : أبو يوسف يعقوب بن إسحق السكيت المتوفى سنة 244 هـ (على خلاف) .

أحد من خلط المذهبين ، وإن كان أميل إلى رأي الكوفيين ، أخذ العلم عن أبيه ، وكان يقول : أنا أعلم من أبي بالنحو ، وأبي أعلم مني بالشعر واللغة « (26) تلذ للأصمعي وأبي عبيدة وابن الاعرابي والفراء وأبي الحسن اللحياتي كما حكى عن أبي عمرو الشيباني وجماعة من فصحاء الاعراب من لقيهم ببغداد (27) .

وقد قتله المتوكل في قصة مشهورة لتشيعه .

5 — الزيادي : أبو إسحق إبراهيم بن سفيان الزيادي ، نسبة إلى زياد بن أبيه وكان أحد أجداده .

من علماء البصرة ونحاتها ، قرأ « الكتاب » على أبي عمر الجرمي (28) وفي خبر آخر على سيويه (29) ولم يتمه .

وللزيادي شرح على « الكتاب » ذكره ابن النديم وغيره خالفه في مواضع منه (30) وقد روى عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما وكان أشبه بالأصمعي في معرفته بالشعر وبصره بمعانيه (31) وكان من « أعلم معاصريه معرفة بإخبار أبي زيد » (32) . وتوفي سنة 249 هـ .

6 — الرياشي : أبو الفضل العباس بن الفرج المعروف بالرياشي المتوفى سنة 257 هـ من كبار

- (20) الفهرست 69/1 .
- (21) معجم الادباء 189/18 وتهذيب اللغة 21/1 .
- (22) اشارة التعمين 94 وتهذيب اللغة 21/1 .
- (23) مراتب النحويين 83 ومعجم الادباء 283/2 والمزهر 408/2 .
- (24) تاريخ بغداد 4/114 وطبقات الزبيدي 198 وإنباء الرواة 36/1 .
- (25) الفهرست 56/1 .
- (26) نفسه 72/1 .
- (27) اشارة التعمين 115 والمزهر 411/2 .
- (28) طبقات الزبيدي 106 .
- (29) طبقات ابن شعبة 169/1 .
- (30) الفهرست 58/1 .
- (31) معجم الادباء 158/1 — وطبقات ابن شعبة 169/1 .
- (32) نور القبس 226 .

نحاة البصرة وعلماؤها في اللغة والرواية وبخاصة عن الاصمعي (33) وكان يحفظ كتبه الى جانب كتب ابي زيد (34) وقرا على ابي عثمان المازني كتاب سيوييه (35) .

وقد جمع الى جانب بصره باللغة والشعر المعرفة بأيام العرب ، حتى ان اهل البصرة اذا اختلفوا في شيء قالوا فيه ما قال الرياشي (36) .

اثر شيوخه فيه :

هؤلاء هم شيوخه واهم ما نلاحظه فيهم ان منهم الكوفي والبصري : وقد تلمذ هؤلاء للاصمعي وابى عبيدة وابى زيد من اشر رجالات البصرة الى جانب الكسائي والفراء وابى عمرو الشيباني من رجالات الكوفة .

واذا تتبعنا اثرهم في « التقفية في اللغة » لم نجد لهم ذكرا مباشرا غير ابن الاعرابي وهو الوحيد ممن ذكرهم بين شيوخه . والغريب في هذه « القول » انها وردت من غير سماع لانها جاءت في ضمن اقتباسات البندنجي عن ابن السكيت .

ولعل السر في ذلك قدم عهده بالتلمذة لابن الاعرابي فقد كان من أوائل شيوخه (37) .

كما لا يمنع من ان ما تلقاه عنه ، دخل في ثقافته العامة حتى صار جزءا من ثقافته ، ويبدو هذا جليا في بعض المسائل التي عالجه « البندنجي » مخالفا فيها بعض آراء اللغويين مؤيدا رأي ابن الاعرابي او قل يتفق رايه مع رايه .

من ذلك ما أورده المصنف في باب الواو من تعريف (محوة) وهي ريح الشمال ، فقد عرفها بـ (ال) ذاهبا مذهب ابن الاعرابي (38) وكان الاصمعي وابن السكيت (39) وسواهما ينكرون ادخال الالف واللام عليها لان العرب « لم تدخل الالف واللام على المشاهير من المعارف مثل : دجلة وعرفة وذكاء ومحوة لوضوحها واشتهارها والاكتناء عن تعريفها بعرفان ذاتها » (40) .

ولا يمكن نكران اثر شيوخه في اثره محفوظه الشعري فان اهم ما يلاحظ في معجم « التقفية » كثرة شواهد الشعرية ، وقد نزلنا من قبل قول البندنجي « حفظت في مجلس واحد مائة وخمسين بيتا بغريبه » (41) .

ولامراء في ذلك فقد كان جل شيوخه رواة او تلمذوا لرواة ، فقد كان ابن الاعرابي من رواة الكوفة وتلميذ الفضل الضبي وتلمذ الأثرم للاصمعي وابى عبيدة كما تلمذ الزيايدي والرياشي وابو نصر للاصمعي ايضا اما ابن السكيت فقد حكى عن ابي عمرو الشيباني الذي عمل الكثير من دواوين القبائل (42) الى جانب روايته عن الاصمعي وابى عبيدة وقد عمل الكثير من دواوين الشعراء (43) .

اما اثرهم في الغريب واللغة والنحو فانه ظاهر بجلاء ، وحسبنا الاشارة الى ان ابا بشر البندنجي حفظ كتاب « الاجناس الكبير » للاصمعي على ابي نصر (44) ، وكان ابو نصر كما ذكر الازهري : « الخق

33) اخبار النحويين 18 ومراتب النحويين 52 ونور القبس 226 .

34) نزهة الالباء 199 ومعجم الادباء 442/12 . الانساب 264 .

35) نور القبس 220 وتاريخ الاسلام 115/16 .

36) طبقات الزبيدي 105 .

37) طبقات ابن شعبة 310/2 وبغية الوعاة 352/2

38) انظر اللسان (محا 139/20)

39) اصلاح المنطق 336 واللسان (محا 139/20)

40) نوادر ابي مسحل 483/2 والمحكم 24/4 ودورة الفواص 43 .

41) معجم الادباء 56/20 ونكت الهميان 313 وطبقات ابن شعبة 311/2 .

42) نزهة الالباء 94 .

43) نور القبس 319 ومحيي الدين توفيق : ابن السكيت اللغوي 120 - 126

44) معجم الادباء 56/20 ونكت الهميان 313 .

— سيأتي بيانه — ومع ذلك فإنه استمر هــ
(السرقة) ولم يتورع في اغفال اسم شيخه .

تلازمته :

لم أجد مع كثرة البحث والتتبع أحدا من رجال
الطبقات أشار إلى أحد ممن روى عنه أو تلميذ
له .

ومع علمي أن كتب الطبقات لا تلتزم باحصاء
تلاميذ من تترجم لهم ، فقد شغلني هذا الأمر حتى
يُسْت من العثور على أحد يفصح عن ذلك لذلك
رحت أتمسك لذلك الأسباب .

لا شك أن معجم « التقنية في اللغة » إنما وصل
إينا عن طريق أحد تلاميذه ، فقد كان الرجل أعمى ،
ولابد أنه أملاه عليه بمفرده أو على جع من
التلامذة ، لأننا نجد في ثناياه أمثال : « وأنشدني أبو
بشر » أو « قال أبو بشر » .

ولعل طلبته كانوا من القلة فلم يشر إليهم أحد
أو لعله لم يبرز منهم أحد أو لعله لم يتعد كثيرا للاقتراء
والتدريس في عصر تزاحم فيه العلماء وكثروا إذ
شغلته أمور الكسب والمعاش عن ذلك ، مع غناه
في أول الأمر ويعضد هذا ما نقله القفطي من أنه
كان شاعرا يرتزق .

لعل بعض هذا أو كله سبب عدم العثورنا على
ذكر لطلبته أو لعله سوء حظ لا أكثر ولا أقل .

بأبوابه حروفا سمعها من أبي زيد واتبعه بأبواب لابي
زيد « (45) ولعل اهتمام أبي بشر بحفظ الاجناس
والغريب مدعاة تفكيره بتأليف « التقنية » .

ولقد بان أثر شيخه من قراوا « الكتاب »
أو درسوا النحو عامة في معجم « التقنية » كالزبادي
والرياشي ، فانا نجد فيه نقولا من الكتاب كما نجد
اهتماما بمعالجة بعض المسائل النحوية خالفا بين
المذهبين في تبنيه بعض آراء الفريقين . فقد ذهب
مذهب الكوفيين في (حاشا) بعدما فعلا يتصرف تصرف
الفعل . وايد الكوفيين في عدمه أمثال : جذب وجذب
والعميق والعميق والغضروف والضغروف ونحوها
من القلب المكناني وهو عند الكوفيين من القلب أيضا
وداخل عند البصريين في عداد اللهجات (46) .

كما ذهب مذهب بعض أعلام البصريين نسي
إثبات ياء المنتوص في حالتي الرفع والجر ، فانا نجده
يشبها في ثانيا معجبه نحو قوله : « القسر : راعي
كان لابن أحمر » (47) أو قوله يفسر القبة بأنها :
« لون فيه حمرة وشيء من بياض وليس بصافي » (48)
أو قوله : « انباجت عليهم بوائج منكراة اي
دواهي » (49) .

وانما ذهب مذهب يونس وأبي الخطاب
الأخفش قال : سيبويه « وحدنا أبو الخطاب ويونس
أن بعض من يوثق بعربيته يقول : هذا رامي وغازي
أظهروا الوقف حيث صارت في موضع غير
تنوين » (50) وأكرر المبرد ذلك (51) . هذا اذا لم
تكن من فعل الناسخين .

واهم ما يؤخذ عليه البندنجي عدم ذكره
شيخه ابن السكيت فقد (سطا) على الكثير من
مروياته ، ونقل قدرا صالحا منها من اصلاح المنطق

(45) تهذيب اللغة 15/1 .

(46) أبو جعفر النحاس : شرح المعلقات (رسالة ماجستير) تحقيق أحمد خطاب عمر 260 والمزهر
481/2 .

(47) معجم التقنية .

(48) نفسه 204 .

(49) نفسه 250 .

(50) الكتاب 288/2 والاشباه والنظائر 259/2 ومفتاح العلوم 40 .

(51) المقتضب 134/1 و 354/3 .

التقنية في اللغة موضوعه - منهجه

أما الكتاب فالتقنية في اللغة ، شاء له صاحبه ان يكون معجماً « لا غنى لاحد من أهل المعرفة والادب عنه » (52) ، وإنما سماه بهذا الاسم لأنه مؤلف على القوافي ، وهي نهاية الالفاظ فـ « نظر في الكلام فوجده دائراً على الحروف الثمانية والعشرين الموسومة بالف باتاناً عليها بناء الكلام كله غريبه ومصبجه فهي محبطة بالكلام لأنه ما من كلمة الا ولها نهاية الى حرف من هذه الثمانية والعشرين حرفاً » .

ثم أعمل فكره في تنفيذ هذا العمل فجمع « ما قدر عليه وأدركته معرفته » فلما جمع من ذلك قدراً كبيراً شاء ان يرتبه أبواباً . وتحدث عن ذلك فقال :

« ونظرنا في نهاية الكلام فجمعنا الى كل كلمة ما يشاكلها ما نهايتها كنهاية الاول قبلها من حروف الثمانية والعشرين ثم جعل ذلك على عدد الحروف فاذا جاءت ما يحتاج الى معرفتها من الكتاب نظرت الى آخرها ما هو من هذه الحروف فطلبت في ذلك الباب الذي هي منه فانه يسهل معرفتها ان شاء الله » .

واذاً لمنهج المعجم قائم على ترتيب الالفاظ على وفق نهايتها فاذا أردنا معرفة (السَّقْب) التسنه في باب الباء ، واذا شئنا معرفة (الاتماح) راجعنا باب الحاء ، ومن رغب في نهم معنى (الجفير) رآه في باب الرائ ، ولم يدر بخلد المؤلف اتخاذ ترتيب بعينه في ايراد الالفاظ في الباب الواحد .

ارتضى البندنجي ترتيب نصر بن عاصم (المتوفى سنة 89 هـ) للالفاء ، وهو أول من نقط المصاحف وعشرها وخمسها بأمر من الحجاج بن يوسف (53) ، وكان موصوفاً بحسن الخط واتقانه فجمع بين الحروف المتشابهات مقدماً المبهل على المعجم ، ولما وجد ان بعض الحروف متشردة في الرسم (كالحاء والواو) أخرها .

وكان ترتيب أبي عمرو الشيباني لمعجمه « الجيم » على وفق الترتيب لنصر بن عاصم سبباً في تدعييه ، ثم شارك في انتشاره أهل الحديث للانفاذة من نظامه .

ولعل أبا عبد الله محمد بن اسماعيل النجاري (المتوفى سنة 256 هـ) من أوائل هؤلاء ، فقد قال في مقدمة « التاريخ الكبير » :

قال أبو عبد الله محمد بن اسماعيل هذه الاسامي وضعت على ا ب ت ث ، وإنما بدىء بمحمد من بين حروف ا ب ت ث لحال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ما فرغ من المحمدين ابتدء في الالف ثم الباء ثم التاء والتاء ... »

واذاً فقد ارتضى أبو بشر هذا نظام نصر في ترتيب الحروف فكان معجمه الثاني - بعد الجيم - في اتخاذه ، ولئن اعتمد أبو عمرو على أوائل الكلمات فقد اعتمد البندنجي على أواخرها .

قسم البندنجي معجمه على وفق الحروف وعدّ باب الالف : مشتملاً على : الالف الممدودة وباب الالفاظ المهموزة وباب الالف المتصورة وسوّغ ذلك قائلاً :

« وأول ما ابتدء في كتابنا هذا الألف لأنها أول الحروف وعلى ذلك جرى أمر الناس ثم نولفه على تناسقه » .

ولعله فعل ما فعل لهدف تعليمي فعّد الألف اللينة (المتصورة) والمتحركة (المهموزة) سواء ، فكان همه ترتيب الالفاظ على وفق أواخرها ولم يدر بخلده ان يرتبها على وفق أصولها الواوينة أو اليائية كما فعل من تلاه كالجوهري مثلاً .

ويعتمد الاساس الذي بنى عليه أبو بشر البندنجي معجمه على (المفردة) ذاتها ، فهي مستقلة لديه عن أخواتها فكان همه جمع الالفاظ المتفقة في الوزن او (الانواعيل) كما سماها فقد جمع في باب (العين) مثلاً الالفاظ الساكنة الوسط أمثال :

(52) النص والذي يليه من مقدمة البندنجي في معجمه .

(53) نقط المصاحف 6 وشرح التصحيف والتحريف 13 .

الذَّرْعُ والقَمْعُ والطَّبْعُ والفَرْعُ وما أشبه وجمع تحت قافية أخرى الالفاظ المتحركة الوسط : كالثَّـسْرَعُ والقَمْعُ والطَّبْعُ والهَزْعُ والفرع وتحت قافية أخرى جمع الالفاظ : الربيع والجميع والسريع والسميع والنجيع وما الى ذلك .

وقد سمى كل مجموعة منها « قافية » ولم يضع لكل قافية ما يشير الى ما يميزها عن سواها من القوافي ، فحسب المحتاج الى مراجعة (الشَّرْع) مثلا مراجعة الالفاظ المتحركة العين وعليه تقليب القافية جميعاً بحثاً عن المطلوب لأنه لم يُرتبها ترتيباً هجائياً يوفر على المراجع الجهد ، مما يؤمى الى عدم اختيار المسألة في ذهنه .

ويلوح لي أن اعتماد البندنجي على (المفردة) في معجمه من آثار حفظه للأجناس للأصمى وغيره ، فقد شاع التأليف بهذا الضرب في القرن الثالث منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره .

واننا لنلاحظ في « اجناس » ابى عبيد (54) :

« الال : آل الشخص والال : السراب والال الرجل يشهد بالزور . والال : الولي » .

وفي موضع آخر منه أيضاً : (55) :

القشع : العمود الذي في وسط الفسطاط وقيل : بيت من آدم . والقشع : انجلاء الغيم وغيره . والقشع : الحرياء . والقشع : اسوداد الشيء اذا سود قيل : قد اقشع . والقشع : انقلاع الحي عن المنزل .

وبمثل هذا الاسلوب عالج ابو بشر قوافي معجمه ، ويمكن أن نتبين هذا في إيراد احدى قوافي باب الالف الميموزة فيه .

قال ابو بشر (56) : « الجبابة : وهي خشبة الحذاء . والنبابة : الصوت الخفي . والقضاة : فساد العين . والكبابة . والبيبة ، يقال : انه لبيبة سوء ، اي بحال سوء . والهيبة . والسبابة » ...

وفي احدى قوافي الدال ذكر ايضا (57) :

العَبْدَةُ : الأمة . والنجدة : الشجاعة . والوَحْدَةُ . والجَدَّة . والرْدَةُ . والمَدَّة . والجَدَّة . والجَدَّة : وهي الخطة في الظهر ظهر الجبل » .

فكما ان كتب الأجناس لا تعبر اهتماماً لإيراد الالفاظ على وفق أي منهج معين أو ترتيب واضح فاننا نلمح ذلك في « التتقية في اللغة » فليس ثمة أي ترتيب هجائي في إيراد الالفاظ . ويمكن ملاحظة النماذج التي قدمناها قبل حديثنا هذا من باب الالف الميموزة مثلا فقد أورد الجبابة ثم ساق النبابة وشتان ما بين الجيم والنون ...

ولكنه مع ذلك قد يجمع الاجناس المتفقة فسي مكان واحد كما يلاحظ في المثال الآتي في باب الشين :

« والفراش : البقايا القليلة من الماء والفراش : المعظام الرقيقة التي في الرأس والفراش : ضرب من الطير يتهامت في النار » .

وفي هذا تعضيد لما ذكرته من قبل بأنه تآثر بكتب الأجناس ، فاننا وجدنا فيما أوردنا من نماذج من اجناس ابى عبيد شبيهاً لها في معجم التتقية .

وأكثر عماد البندنجي على المصدر أو اسمه ، وقد يعتمد على الجمع ومفرده أو المذكر ومؤنثه ، ولم يكن في هذا بدعاً فقد سبقه الى ذلك الخليل بن احمد وأبو عمرو الشيباني .

ففي العين (58) مثلا نجد في باب العين والفاء (ع ف ، ف ع) :

العفة : الكف عما لا يحل ، ورجل عفيف ، بعف عفة وقوم عفون قال المعجاج :

عَفَّ فلا لاصٍ ولا ملصٌّ

والعفافة : بقية اللبن في الضرع والعنف : ثمر الطلع .

(54) الاجناس ص 2 .

(55) نفسه ص 6 .

(56) التتقية في اللغة (بتحقيقنا بغداد 1976) .

(57) نفسه .

(58) الميسن 1/105 .

واضفنا الى كل كلمة من كل باب مما يشاكلها من الكلام الفصيح الذي لا يجهله العوام ، ليكون اجمع لما يريده المرتاد لما وصفناه .

واذاً فالمعجم الذي بين ايدينا اراد به مؤلفه جمع الفصيح مما كثر استعماله ، وهو المفهوم من كلام (ثعلب) وسواه في ان مدار الفصاحة « مما يجري في كلام الناس وكتبهم » (60) مما كثر استعماله وشاع في الألسنة .

ويبدو انه اراده معجماً للجمهور ، فهدفه تعليمي « جمع من ذلك ما قدر عليه وبلغه حفظه » واعده خصباً « لأهل الأدب والمعرفة » (61) ولم يرد به العامة ولكنه به انصاف المتعلمين او لعله اراد به الشعراء الخاصة من ذوي الاصول غير العربية .

اما نطلبه للموثوق به من الألفاظ فقد صرح به في ثنايا معجمه وهو يعلق به على بعض الألفاظ من ذلك ما ورد في باب الباء : (62)

قال : الشك : فرخ الكركي قال ابو بشر : ولم اسمعه من ثقة .

« للبحث صلة »

ولكنه يعتمد احيانا على الفعل ويجعله سبيلاً لايراد الفعل او اسم المصدر (59) وقل ان نجد ذلك في معجم « التنقيية » .

ويمكن ان نلاحظ اعتماد ابني عمرو الشيباني على المنهج ذاته في ايراد الالفاظ فقد اورد : الأوق ، والأرواح ، والأدبة ، والأريض ، والمألوق والأوام في باب الهزة من معجم (الجيم) .

ولذلك فإن « التنقيية » يعد امتداداً للمعجمات التي سبقتها في هذا الباب .

ذكرنا من قبل أن الاساس الذي اعتمده البندنجي في معجمه اعتماده على الالفاظ نثاي الالفاظ اراد .

ونبادر الى القول انه اراد الفصيح منها مما يوثق بصحته ، فلم يشأ ايراد الالفاظ المفرقة في الغرابة احيانا كما اراد ابو عمرو او جمع الغريب وسواه لهدف احصائي كما فعل الخليل .

« هذا الذي قلناه لنا عليه دليل ذكره المؤلف في مقدمته فقال :

(59) نفسه (قس) .

(60) انظر الفصيح 3، والبلغة في اصول اللغة 35 والمزهر 1/185 .

(61) مقدمة التنقيية .

(62) التنقيية .